سورة الشرح

مكية، وآياتها ثمانٍ
[نزلت بعد الضحى]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾

استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار، فأفاد إثبات الشرح وإيجابه، فكأنه قيل: شرحنا لك صدرك؛ ولذلك عطف عليه: وضعنا: اعتبارًا للمعنى. ومعنى: شرحنا صدرك: فسحناه حتى وسع عموم النبوّة ودعوة الثقلين جميعًا. أو حتى ٢/ ٢٦٧أ احتمل المكاره التي يتعرض[1] لك بها كفار قومك وغيرهم: أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم، وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل. وعن الحسن: مليء حكمة وعلمًا. وعن أبي جعفر المنصور أنه قرأ: «ألم نشرح لك» بفتح الحاء. وقالوا: لعله بين الحاء وأشبعها في مخرجها، فظنّ السامع أنه فتحها، والوزر الذي أنقض ظهره - أي: حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله - مثل لما كان يثقل على رسول الله ﷺ ويغمّه من فرطاته قبل النبوّة. أو من جهله بالأحكام والشرائع. أو من تهالكه على إسلام أولي العناد من قومه وتلهفه. ووضعه عنه: أن غفر له، أو علم الشرائع، أو مهد عذره بعد ما بلغ وبلغ. وقرأ أنس: وحللنا وحططنا. وقرأ ابن مسعود: «وحللنا عنك وقرك». ورفع ذكره: أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب، وفي غير موضع من القرآن ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء: ١٣]، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢] وفي تسميته رسول الله ونبيّ الله؛ ومنه ذكره في كتب الأولين، والأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به، فإن قلت: أيّ فائدة في زيادة لك، والمعنى مستقل بدونه[2]؟ قلت: في

---

(١) قوله: «المكاره التي يتعرض لك» لعله تعرض بصيغة الماضي. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت ما فائدة لك مع أن الإضافة تغني عنها... إلخ» قال أحمد: وقد تقدم عند الكلام على نظيرها في قوله: «قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري» قريب من هذا المعنى، والله أعلم.

زيادة لك ما في طريقة الإبهام والإيضاح، كأنه قيل: ألم نشرح لك، ففهم أن ثم مشروحًا، ثم قيل: صدرك، فأوضح ما علم مبهما، وكذلك ﴿لَكَ ذِكْرَكَ﴾ و﴿عَنكَ وِزْرَكَ﴾.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾

فإن قلت: كيف تعلق قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ بما قبله؟ قلت: كان المشركون يعيرون رسول الله ﷺ والمؤمنين بالفقر والضيقة، حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله واحتقارهم، فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ كأنه قال: خوّلناك ما خوّلناك فلا تيأس من فضل الله، فإن مع العسر الذي أنتم فيه يسرًا. فإن قلت: ﴿إِنَّ مَعَ﴾ للصحبة، فما معنى اصطحاب اليسر والعسر؟ قلت: أراد أن الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب، فقرّب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر، زيادة في التسلية وتقوية القلوب. فإن قلت: ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ: لن يغلب عسر يسرين (١٧٦٨) وقد روي مرفوعًا: أنه خرج ﷺ ذات يوم وهو يضحك ويقول: «لن يغلب عسر يسرين» (١٧٦٩) قلت: هذا عمل على الظاهر، وبناء على قوّة الرجاء، وأن موعد الله لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه، والقول في أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريرًا للأولى كما كرر قوله: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ [الطور: ١١] لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب، وكما تكرر المفرد في قولك: جاءني زيد زيد، وأن تكون الأولى عدة بأنّ العسر مردوف بيسر لا محالة، والثانية عدة مستأنفة بأنّ العسر متبوع بيسر، فهما يسران على تقدير الاستئناف، وإنما كان العسر واحدًا لأنه لا يخلو، إما أن يكون تعريفه للعهد، وهو العسر الذي كانوا فيه، فهو هو؛ لأنّ حكمه حكم زيد في قولك: إن مع زيد مالاً، إن مع زيد مالا. وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه لك كل أحد فهو هو أيضًا. وأما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس، فإذا كان الكلام الثاني مستأنفًا غير مكرّر فقد تناول بعضًا غير البعض الأوّل بغير إشكال. فإن قلت: فما المراد باليسرين؟ قلت: يجوز أن يراد

١٧٦٨ ـ قال ابن حجر: حديث ابن عباس لم أجده. قلت ذكره الفراء عن الكلبي عن أبي صالح عنه انتهى.

١٧٦٩ ـ ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٦١٦) عن قتادة بهذا اللفظ وعزاه لعبد بن حميد والطبري. ورواه الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً.

أخرجه الطبري وابن مردويه وعبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٦/٦١٦).

وأخرجه ابن مردويه عن جابر أيضًا وفيه قصة.

بهما ما تيسر لهم من الفتوح في أيام رسول الله ﷺ وما تيسر لهم في أيام الخلفاء[1]، وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢] وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب. فإن قلت: فما معنى هذا التنكير؟ قلت: التفخيم، كأنه قيل: إن مع العسر يسرًا عظيمًا وأيّ يسر، وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة. فإن قلت: فإذا ثبت في قراءته غير مكرر، فلم قال: والذي نفسي بيده، لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه، إنه لن يغلب عسر يسرين؟ (١٧٧٠) قلت: كأنه قصد باليسرين: ما في قوله: ﴿يُسْرًا﴾ من معنى التفخيم، فتأوله بيسر الدارين، وذلك يسران في الحقيقة.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾

فإن قلت: فكيف تعلق قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ بما قبله؟ قلت: لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة، بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها، وأن يواصل بين بعضها وبعض، ويتابع ويحرص على أن لا يخلي وقتًا من أوقاته منها، فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى. وعن ابن عباس/ ٢/ ٢٦٧ب: فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء. وعن الحسن: فإذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة. وعن مجاهد: فإذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك. وعن الشعبي: أنه رأى رجلاً يشيل حجرًا فقال: ليس بهذا أمر الفارغ، وقعود الرجل فارغًا من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعينه في دينه أو دنياه: من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة، ولقد قال ـ عمر رضي الله عنه ـ: إني لأكره أن أرى أحدكم فارغًا سهللاً لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة (١٧٧١). وقرأ أبو السّمال: فرغت ـ بكسر الراء ـ وليست بفصيحة. ومن البدع: ما روي عن بعض الرافضة أنه قرأ: فانصب، بكسر الصاد، أي: فانصب عليًا للإمامة؛ ولو صحّ هذا

١٧٧٠ ـ تقدم وينظر الحديث السابق.

وقال الحافظ: حديث ابن مسعود: أخرجه عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان، عن ميمون أبي حمزة عن إبراهيم، عن ابن مسعود قال: «لو كان العسر في جحر ضب لتبعه اليسر حتى يستخرجه: لن يغلب عسر يسرين». انتهى.

١٧٧١ ـ قال الزيلعي (٤/ ٢٣٦) غريب وقال ابن حجر: لم أجده: وقد روى أحمد وابن المبارك والبيهقي كلهم في الزهد وابن أبي شيبة من طريق المسيب بن رافع قال: قال عبد الله بن مسعود: «إني لأمقت الرجال أراه فارغًا ليس في شيء من عمل دنيا ولا آخره» انتهى.

---

(١) قوله: «وما تيسر لهم في أيام الخلفاء» لعله: وما يتيسر، بصيغة المضارع. (ع)

للرافضي لصحّ للناصبي أن يقرأ هكذا، ويجعله أمرًا بالنصب[1] الذي هو بغض عليّ وعداوته ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ واجعل رغبتك إليه خصوصًا، ولا تسأل إلا فضله متوكلاً عليه. وقرئ: «فرغب» أي: رغب الناس إلى طلب ما عنده.

عن النبي ﷺ: «من قرأ ألم نشرح، فكأنما جاءني وأنا مغتمّ ففرج عني» (١٧٧٢).

١٧٧٢ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بأسانيدهم إلى أبي بن كعب. ورواه سليم الزهري في البرعنه مرسلاً. انتهى.

وقال الحافظ: أخرجه عبد الرزاق عن معمر، عن أيوب، عن الحسن به مرسلاً، ومن طريقه أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب. ورواه الطبري من طريق أبي ثور، عن معمر. وله طريق أخرى أخرجها ابن مردويه من رواية عطية عن جابر، وصولاً. وإسناده ضعيف. وفي الباب عن عمر رضي الله عنه ذكره مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم عن أبيه وأن عمر بن الخطاب بلغه أن أبا عبيدة حضر بالشام فذكر القصة. وقال في الكتاب إليه: ولن يغلب عسر يسرين» ومن طريقه رواه الحاكم. وهذا أصح طرقه. انتهى.

---

(١) قوله: «بالنصب» في الصحاح: نصبت لفلان نصبًا: إذا عاديته. (ع)

obeikandl.com